وزارةُ الثَّقافة
الهيئة العامّة السُّوريّة للكتاب
مديريّة منشورات الطّفل

مكتبة الطفولة

٩٤
كانون الثاني ٢٠٢٣م

الخُبزُ و الماء

قصة: زهرة بريرخ
ترجَمَتُها عن الفارسيّة: د. ميرفت سلمان
رسوم: رامز حاج حسين

رئيسُ مجلس الإدارة
وزيرةُ الثقافة
الدكتورة لبانة مشوّح

الإشراف العامّ
المـدير العــامُّ للهيئـة
العامّة السّوريّة للكتاب
د. نايف الياسين

رئيس التحرير
مدير منشورات الطفل
قحطان بيرقدار

الإخراج الفنّي
هيثم الشيخ علي

الإشراف الطباعيّ
أنس الحسن

مكتبة الطفولة

سلسلة قصصيّة موجّهة إلى الأطفال

الخُبزُ و الماء

قصة: زهرة بريرخ
ترجَمَتْها عن الفارسيّة: د. ميرفت سلمان
رسوم: رامز حاج حسين

في مكانٍ بعيـد، أو رُبّـمـا كانَ مكاناً قريباً، كانَ هُناكَ امـرأةٌ عجـوز، وكانـت وحيـدةً وبخيلـة. كانـت تقولُ لنفسـها: إذا ذهبتُ إلـى بيتِ أحدهم فسـوفَ يأتي إلى بيتـي، وإذا جـاءَ إلـى بيتـي فسـيرى القِـدْرَ والصُّحونَ وإبريقَ الماء. سيطلبُ القِدْرَ مرّةً، ومرّةً أُخرى سيطلبُ الصُّحون، وسيقولُ في أحد الأيام أيضاً: أعيريني إبريقَ الماء، وسـأُعيدُهُ إليك في لـمح البصـر. وحينها إمّا ألّا يُعيدَهُ، وإمّا أن يُعيدَهُ مكسوراً.

لكنَّ الأمورَ لا تبقى على حالها دائماً. جاءَ اليومُ الذي أضعفَتْ فيه الشيخوخةُ المرأةَ العجوز. كانَ هناك طريقٌ قصير بينَ بيتها ونبع الماء، لكنّهُ بالنسبةِ إلى امرأةٍ عجوز طويـلٌ جـدّاً، ولم يبقَ فـي بيتها ماءٌ لسـقاية الأزهار في الحديقة الصغيرة، حتّـى إنّهُ لم يبقَ لديها ماءٌ للشُّرب.

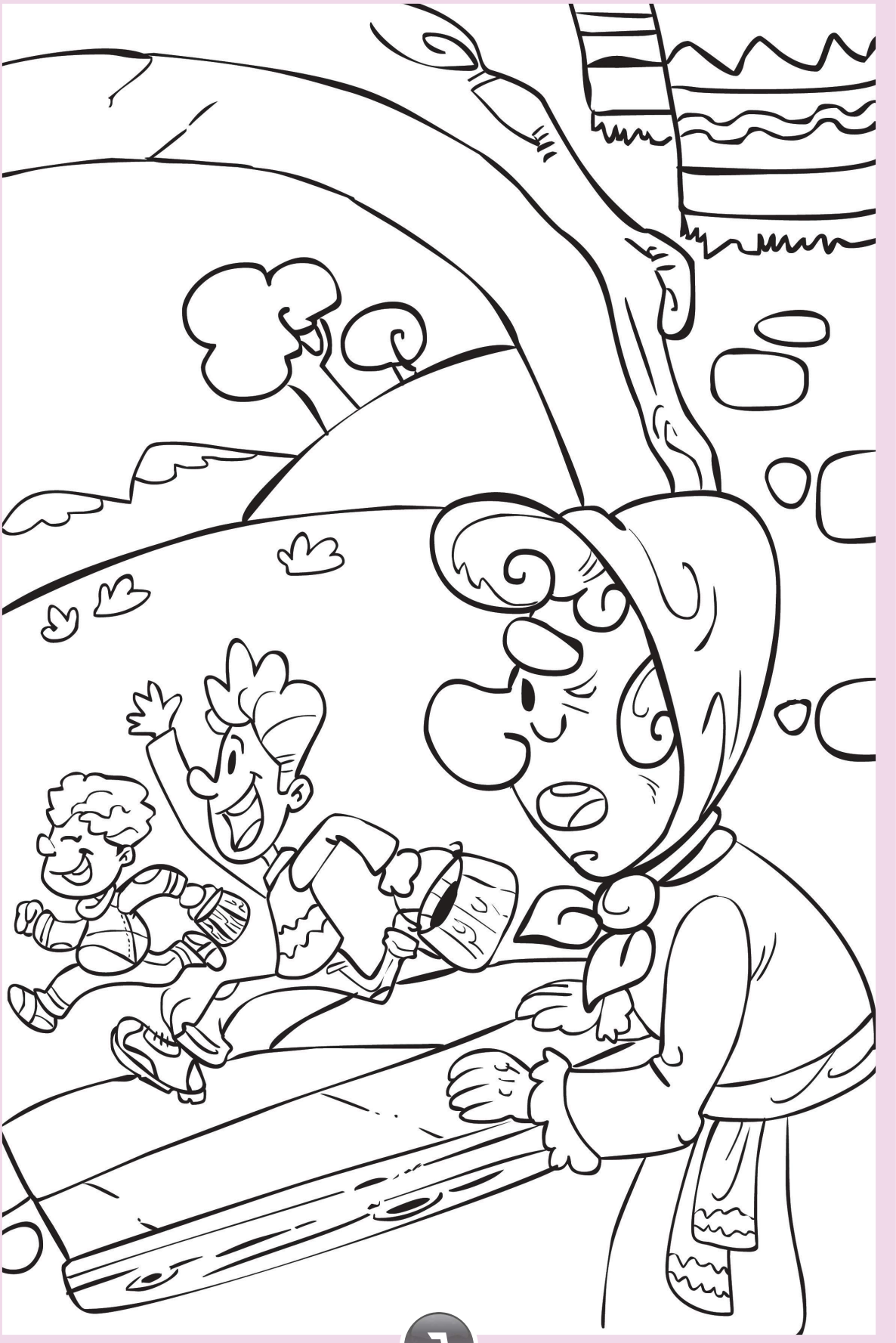

في أحد الأيام، أرادَت المـرأةُ العجوز أن تُعِدَّ الـخُبزَ الـمُحلّــى، فأدركتْ أنْ ليـسَ لديها إلّا قليلٌ من الماء. سـكبَت المـاءَ علـى الطحين، وصنعَـتْ عجينـاً، لكنَّ العجينَ كانَ قاسـياً. قالتْ لنفسها: أحتاجُ إلى مزيدٍ من الماء.

نظـرَت العجـوزُ مـن النافـذة إلـى ذاكَ الطـرف من الهضبـة الصغيرة حيثُ نبـعُ الماء. كان الطريقُ طويلاً جـدّاً، ومعَ وعـاءٍ مملوء بالماء سـيُصبحُ أطول، لكنَّ أولادَ الجيـران كانـوا يذهبـونَ راكضيـنَ، ويَرجِعُونَ بأوعيةٍ مملوءة بالمـاء. نظرت العجوزُ حولها، فرأت كلَّ شـيء وسـخاً، ولم يكـن لديها خيارٌ آخر سـوى طلـبِ الـمُسـاعدة مـن أحدهـم. أغمضَـتْ عينيهـا، وفتحت النافذةَ، ونادت:

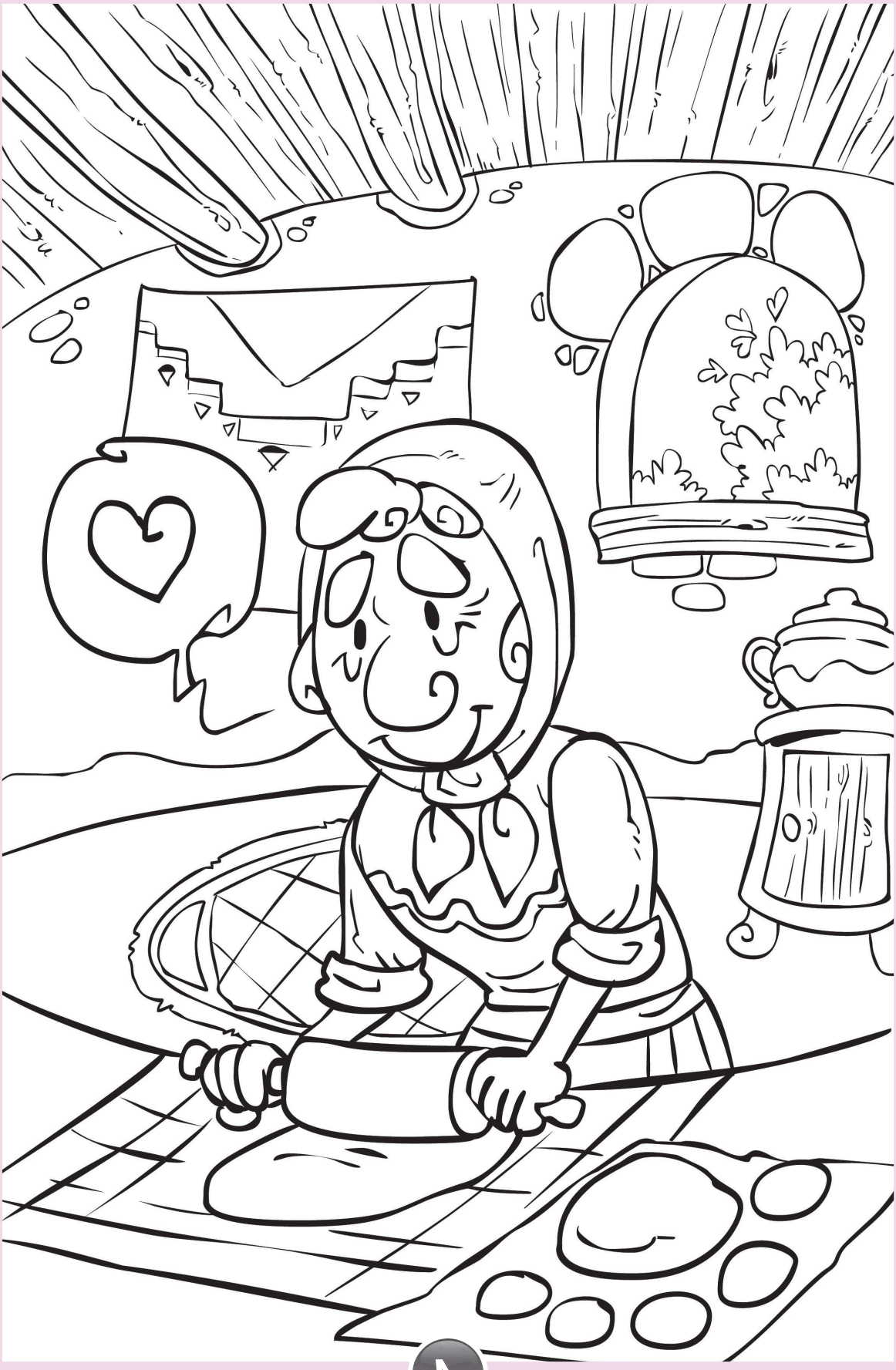

ليُـحضِرْ أحدُكم وعاءَ ماءٍ لي أنا المرأة العجوز!

سريعاً جداً، بل أسرع مـمّـا كانت تتوقّع، قُرِعَ الباب.

كانَ ابـنُ الجيران واقفاً أمامَ الباب، حاملاً وعاءً مملوءاً بالماء. أخذت العجوزُ وعاءَ الماء دَهِشَـةً، وصبّـتْهُ في الإبريق. قالَ الصّبـيُّ: هل امتلأ؟

هزّت العجوزُ رأسَـها، وقالت: لا، لكنّهُ أفضل من لا شيء.

في أثناء الوقت الذي ذهبَ فيه الصبـيُّ الصغير، وعادَ بوعاءِ مـاءٍ آخر، كانت العجوزُ قد خبـزتْ أوّلَ رغيف خُبز مُـحلّـى. عبقتْ رائحةُ الخبز الـمُحلّـى في البيت. سـكبت المرأةُ العجـوزُ الماءَ في الإبريـق، وأرادَتْ أن تُغلِقَ بابَ البيت، فلاحظَتْ أنَّ عَـيْـنَـي الصّبـيِّ الصغير على الـخُبز الـمُحلّـى. فقالتْ لنفسِها:

أرأيتِ؟ ألم أقلْ لك؟! لم يُحضِرْ شيئاً بعد، ويُريدُ أن يأخُذَ شيئاً مُقابلَه.

أعطت المرأةُ العجوز الصّبيَّ رغيفاً من الخُبز المُحلّى، فأخذَهُ بفرح، وذهب.

لمّا وضعت العجوزُ رغيفَ الخبز الثاني في التنُّور سمعتْ طرقاً على الباب. فتحت، فرأت ابنَ الجيران الصغير وأخاهُ الأصغر سنّاً واقفَينِ، وكُلٌّ منهما يحملُ وعاءَ ماء بيده. نظرَتْ إليهما العجوزُ بتعجُّب. كانت تريدُ أن تُخبِرَهُما بأنّها لا تريدُ مزيداً من الماء، لكنّها لاحظَتْ أنّ برميلَ الماء فارغٌ تماماً. أخذَتْ منهما وعاءَا الماء، وسكبَتْ ما فيهما في البرميل، وحينها قالَ الطفلُ الصغير: جدّتي العجوز! الخبزُ المُحلّى يكادُ يتحمّصُ في التنُّور.

لم تجد العجوزُ مهرباً، فقسمَتْ قطعةً من الخُبز المُحلّى نصفَينِ، وأعطَتْ كُلاً منهما نصفاً. أخذَ الأخوانِ الخبزَ، وذهبا مَسرُورَين.

لمّا همّت العجوزُ بوضع رغيف الخُبز المُحلّى الثالث في التنُّور سمعتْ صوتَ طرقٍ على الباب. فتحت، فرأت ابنَ الجيران واقفاً معَ أخيهِ الصغير وأخيه الكبير، وكلٌّ منهم يحملُ بيده وعاءً من الماء. أخذت العجوزُ أوعيةَ الماء بفرَح، لكنْ لمّا رأتْ أنّ الأطفالَ الثلاثة لا يزالونَ واقفينَ لا يتحرّكُون، فهمتْ أنّها يجبُ أن تُقدِّمَ إليهم رغيفَ الخُبز المُحلّى الثالث.

بعدَ ذهابِ الأطفال، جلست العجوزُ، وأخذتْ نفَساً عميقاً، ووضعَتْ رغيفَ الخُبز الرابع في التنُّور، وقالتْ: هذا لي أنا.

لكنّـها ما لبثتْ أنْ سَـــمِـعَت صوتَ طرقٍ على الباب مُـجدّداً. فتحت بابَ البيت، فرأت ابنَ الجيران وأخوَيهِ الأصغـر والأكبـر وأُختَـهم واقفيـنَ، وكلٌّ منهم يحملُ وعـاءَ ماء. صرخَت المرأةُ العجوز من شـدّة التعجُّب، وأرادَتْ أن تُـخبرَهم بأنَّ هذا كافٍ، وأنّـها لا تريدُ مزيداً من الماء، لكنَّ نظرَها وقعَ على أوعية الطعام والملابس التي لم تَغسِلْها بعد، فسكبت الماءَ في البرميل، وقدّمت الرغيـفَ الرابـع إلى الأطفال، وجلسـتْ قُـربَ التنُّور، وقالتْ لنفسها:

أرأيـتِ أيّـتُـها العجـوز؟! حينَ تفتحينَ البـابَ، فإنَّ بيتَـكِ وحياتَـكِ لا يَعُودانِ ملكاً لك.

وضعـت العجوزُ رغيفَ الـخُبـز الخامس في التنُّور، وحينها سمعتْ صوتَ قرعٍ على الباب. فتحتْ، فرأت

مجموعـةً مـن الأطفـال الصغـار والكبار يقفـون، وفي أيديهـم أوعيةُ مـاءٍ كبيـرة وصغيـرة. أُصِيبَـت العجوزُ بالدهشـة، ونظـرَتْ إليهـم بـحَيرةٍ واسـتغراب. أرادَتْ أن تصرفَـهُـم، لكنّـهـم دخلُوا البيتَ بسُـرعة، وملؤُوا الأوعيةَ كلَّها مِن أكبرها إلى أصغرها، ووقفُوا في إحدى الزوايا ينتظرُون، فأعطَت العجوزُ كُلاً منهم قطعةَ خُبز.

بعـدَ أن ذهـبَ الأطفال، عـادت العجوزُ إلـى التنّور، فـرأتْ أنّهُ لم يَعُدْ لديها أيُّ رغيـف خُبز، ولم يَعُد هناكَ عجين، فقالت لنفسـها: هذهِ هي عاقبةُ الباب المفتوح. لم أذُقْ طعـمَ الـخُـبز حتّـى.

غسـلت العجوزُ كثيـراً من أوعيـة الطعـام وكثيراً من الملابس، ولـمّـا هـمّتْ بتنظيف البيت سـمعَتْ طرقاً على الباب. فتحت العجوزُ التي نالَ منها التعبُ الشديد،

وهي تصرخُ، فرأتْ تسعةً، بل عشرة... رأتْ مجموعةً كبيرةً من الأطفال معَ كثير من أوعية الماء. صرخت العجوز: لا، لا، لم يَعُدْ لديَّ مزيدٌ من الخُبز المُحلّى.

لكنَّ الأطفالَ دخلُوا البيتَ بسُرعة، وكانت العجوزُ قد أُصيبَتْ بتعبٍ شديد جعلَها تجلسُ عاجزةً عن رؤيةِ ما يدورُ حولها، وغطّتْ بعدَها في نوم عميق. لم تنم العجوزُ ساعةً أو ساعتين، بل رُبّما مئة ساعة. لمّا استيقظَتْ نظرَتْ حولها، فرأت أنَّ الأطفالَ قد غادرُوا. كانَ بيتُها نظيفاً، وحديقتُها مرويّة، وأزهارُها نضرة، وأوعيةُ الماء الكبيرة والصغيرة في كُلِّ مكان. نهضَتْ مسرورةً، وقالت لنفسها:

جعلَني الله فداءً للباب المفتوح!

وذهبَتْ، وأوقدَتِ التنُّور، وجهّزتْ عجينَ الخُبز المُحلّى، وتركَتِ البابَ مفتوحاً.

من إصدارات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب

شهر كانون الأول ٢٠٢٢م

www.syrbook.gov.sy
E-mail:syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامّة السوريّة للكتاب - ٢٠٢٣م
سعر النسخة: ٥٠٠ ل.س أو ما يعادلها